

استطراد: "العمليات الجماعية" داخل وخارج العلاج الجمعي

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD21713.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsyach2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/07/21
السنة السادسة - العدد: 2151



هذا العنوان مشتق من عنوان المؤتمر العالمي الذي سوف يعقد في القاهرة من 25 إلى 27 سبتمبر 2013 بعنوان:

العلاج الجمعي والعمليات الجماعية: الأمل في أوقات عصيبة (حرجة)

Group Therapy and Group Processes Hope in Critical Times

وتعقد الجمعية المصرية للعلاجات والعمليات الجماعية EAGT، بالاشتراك مع الجمعية العالمية للعلاجات النفسية IAGT

وبعد

يعرف الجميع علاقتي المحدودة بالمؤتمرات العلمية عامة، نتيجة قصور مني أو تقصير، واحتراما لقدراتي، برغم مواصلة الدعاء لكل جهد جماعي جاد بالتوفيق، واحتفاظي بالأمل في أي تجمع مفيد أو لقاء واعد، إلا أن ابنتي أ.د. منى الرخاوي قد طلبت مني أن اساهم في التعريف بفكرة هذا المؤتمر تصلني منها باعتبار أنني مع أ.د. محمد شعلان كان لنا شرف بداية هذا النوع من العلاج بصورته المستمرة في جمهورية مصر العربية، وحين نهيتها أن ذلك سوف يكون على حساب ما كلفتي به سابقا في نفس المجال، أعني كتابة كتاب "الأساس في العلاج الجمعي" أصرت أن هذا يكمل ذلك.

ناقشتها معذرا بصفتها ابنتي أكثر من صفتها رئيس الجمعية المصرية أو عضو مجلس إدارة الجمعية العالمية للعلاجات الجماعية أو المسئولة عن نشاط الشباب عموما في الجمعية العالمية وأيضا عن نشاط الجمعية في أفريقيا، ولم أنجح في إثباتها عن رجائها، لأنها واجهتني بما أفحمني، وهو أن ما علمته إياها (وإخوتها ما أمكن ذلك) عن معنى "حمل الأمانة" هو من صلب ما تطلبه مني، فلم استطع أن أوصل اعتذاري عن الاستجابة لطلبها الإضافي في حدود إمكانياتي وخاصة فيما يتعلق بالعنوان الفرعي (الأمل في أوقات عصيبة)

ما سوف أبدأ بالتعريف به، بعد مناقشات مع ابنتي للتعرف على أبعاد المؤتمر أكثر، ليس هو العلاج الجمعي وإنما "العمليات الجماعية"، ومن ثمَّ العنوان الفرعي: "الأمل في أوقات عصيبة". سألت ابنتي: ماذا تقصدون بالعمليات الجماعية؟ فأحالتني إلى نشرة المؤتمر. هي العمليات الجماعية لغير المرضى خارج مجال العلاج النفسي لدعم المجالات الأخرى مثل: الأسرة والمجتمعات المدنية والمنظمات والشركات، ثم سألتها عن العنوان الفرعي "الأمل في أوقات عصيبة"، فقالت: وهل توجد أوقات عصيبة أكثر مما نحن فيه؟ ليس فقط في مصر؟ بل في المنطقة العربية جميعها؟ بل في العالم؟ تعجبت - وفهمت وقبلت - كما فرحت أنها لم تأت بذكر السياسة، مع أن فعل السياسة - بكل عيوبها ومخاطرها - هو في موقع محوري لما يمكن أن يسمى "العمليات الجماعية"

لكل هذا قبلت أن أقحم هذا الاستدراك وقد اعتدتم على استدراكاتي!!

الوعي العام غير الرأى العام، الوعي هو جُماع شبك متداخل لوظائف عدة، أما الرأى فهو نتاج فكر محدد، عادة بالرموز واللغة أكثره من نشاط النصف الأيسر للدماغ (الطائف)

ما يسمى "العمليات الجماعية" هو أكثر ارتباطا بـ واعتمادا على الوعي العام منه على الرأى العام.

العقل ليس هو العضو الوحيد للتفكير

الأدراك هو وظيفة معرفية أكثر شمولاً وأوسع نطاقاً وأعمق نمواً

من التفكير، وهكذا
وظيفة أكثر ارتباطا
بالوعي منها بالبرأيد أو
بالأفاد اللعة أو بالترميز
والترديد عموما

منطلقات أساسية:

أولاً: الوعي العام غير الرأي العام، الوعي هو جُماع شبكي متداخل لوظائف عدة، أما الرأي فهو نتاج فكري محدد، عادة بالرموز واللغة أكثره من نشاط النصف الأيسر للدماغ (الطاغي)
ثانياً: ما يسمى "العمليات الجماعية" هو أكثر ارتباطاً بـ واعتماداً على الوعي العام منه على الرأي العام.

ثالثاً: حسب المبادئ الأولية الأساسية للعلم المعرفي فإن العقل ليس هو العضو الوحيد للتفكير، فعبّر أي قنوات تجرى العمليات الجماعية؟

رابعاً: الإدراك هو وظيفة معرفية أكثر شمولاً وأوسع نطاقاً وأعمق نمواً من التفكير، وهي وظيفة أكثر ارتباطاً بالوعي منها بالرأي أو بالأفاد اللعة أو بالترميز والتجريد عموماً، فما تأثير ذلك في العمليات الجماعية؟

خامساً: أتاحت تكنولوجيا التوصل والتواصل لكل الناس من كل حذب وصوب، من كل دين ولون، من كل دين ومعتقد، أن يتواصلوا مباشرة بقدر أقل فأقل من وصاية السلطات المركزية عموماً بما في ذلك السلطة الدينية والسلطة العلمية التقليدية والسلطة السياسية الحاكمة والسلطة الإعلامية الممولة المغرضة. إذن ماذا؟

سادساً: في نفس الوقت فإن نفس هذه التكنولوجيا قد أتاحت فرصاً للإغارة الساحقة الماحقة الممثلة في سلطات ظاهرها حكومات الدول التي تحتكر صفة التقدم، علماً بأن المحرك الأقوى وراءها هو سلطة المال والتكاثر والاستعمال الفوقى والاستعمار الجديد، وكل هذا هو مؤهلات ما يسمى "النظام العالى الجديد"، فماذا يحدث للعمليات الجماعية المقاومة نتيجة لذلك؟

سابعاً: ما وصلنى من ممارسة العلاج الجمعى، بعد أكثر من أربعين عاماً، هو أن الوعي الجماعى يتكون من خلال التواصل فالتواصل الكلى بين الناس مع بعضهم البعض، فلا تبادل آراء، ولا تفسير أو تسكين بالكلام، ولا هى أساساً نصائح جماعية ولا توجيهات إرشادية، فهل يشترط فى العمليات الجماعية مثل ذلك، أو استبعاد غير ذلك؟

ثامناً: العلاج الجمعى بالذات يمثّل نموذجاً لمعنى وكيفية فاعلية الجماعة أثناء مواجهة أفرادها لبعضهم البعض فى عملية متكاملة متداخلة، تخلق كياناً ضاماً بين مجموعة من البشر تسعى نحو هدف مشترك متصاعد متصاعد يوجه الفطرة البشرية لما خلقت له نحو وعى أرقى فأرقى إلى وجه الحق، سميناه كذلك أم لا. مرة أخرى: إذن ماذا؟

وبعد

إن جمع العلاج الجمعى - بهذه الصفات المميزة الفارقة- مع العمليات الجماعية فى مؤتمر يحتاج موقفاً ناقداً ونظراً أعمق، وبعض ما خطر لى إزاء ذلك هو كما يلى:

إن ما يحدث فى العلاج الجمعى بين مجموعة بذاتها بقواعد مهنية مُحكمة، ولمدة مقدرة مسبقاً، بشرط لقاء مباشر بالجسد والمخ والوعى (بمستوياته) والمخ بل والأمخاخ (بتجلياتها)، وما يقابلها أو يوازئها أو ينافسها من "عقول"، كل ذلك يحدث بشكل بقائى تلقائى من خلال نشاط تطورى على طول مسيرة سائر الأحياء التى استطاعت - بفضل الله- أن تحافظ على بقائها (واحد فى كل ألف من كل الأحياء).

فى الإنسان، وبالذات فى هذا الإنسان المعاصر، يتداخل الوعي، والوعى بالوعى، والتخطيط بما يجعل المسؤولية أكبر، والمخاطر أعظم، والأمل أكثر حضوراً.

أتاحت تكنولوجيا
التوصل والتواصل لكل
الناس من كل حذب
وصوب، من كل دين
ولون، من كل دين
ومعتقد، أن يتواصلوا
مباشرة بقدر أقل فأقل
من وصاية السلطات
المركزية عموماً

الوعي الجماعى يتكون
من خلال التواصل
فالتواصل الكلى بين
الناس مع بعضهم البعض

فك الإنسان، وبالذات
فك هذا الإنسان
المعاصر، يتداخل الوعي،
والوعي بالوعي،
والتخطيط بما يجعل
المسؤولية أكبر، والمخاطر
أعظم، والأمل أكثر
حضوراً

إن الوعي الجماعى
يتخلق تلقائياً عبر كل
أنواع التواصل الحيوى

بناء على ذلك فلا بد أن للعمليات الجماعية أشكالاً وتبوعات وتجليات أقل تركيزاً مما يجرى في العلاج الجمعي بشكل مباشر، لكنها أعم حضوراً وليست أقل تأثيراً غالباً ومن هذا يمكن وضع فرض يقول:

إن الوعي الجماعي يتخلق تلقائياً عبر كل أنواع التواصل الحيوي فالبشرى بدرجات تراكمية جدلية تصعيدية، ومع تزايد الوعي بالوعي، وتوفر السبل الأحدث والمعلومات الأكثر غزارة في البيولوجيا العصبية والعلم المعرفي العصبي والعلوم النفسية عامة والعلوم الكمومية الأحدث، وغيرها، يحاول الإنسان عبر سبل متعددة، متكاملة ومتوازنة ومتجاذلة أن يسهم بدرجة ما في تخليق "الوعي الجمعي" لما يتصور أنه أكثر إيجابية، بمعنى أنه أكثر تحقيقاً لما خلقنا به و لما خلقنا إليه، وكذلك أكثر تلاؤماً ثم دفعا لمسيرة التطور.

من هذا المنطلق تصبح أية عملية جماعية هي إسهام أكبر وأقدر من الإسهام، الفردي ويصبح البحث في هذه "العمليات الجماعية"، انطلاقة من العلاج الجمعي، وكذلك من علاج الوسط هو من أهم ما قد يسهم في ذلك.

تطبيق محدود يتجاوز العلاج الجمعي:

الخبرة التي خضناها معا بفضل الابن والصدیق والزميل أ.د. جمال التركي في "شعن" (الشبكة العربية للعلوم النفسية) تقول إن وعياً عاماً Collective Consciousness يتخلق بين أفراد ومجموعات أكبر فأكثر عبر تكنولوجيا التواصل الأحدث، وهو يتسع باضطراد واعد.

بتعميم أخطر - لن أتطرق إليه - لعل هذا هو الحادث حالياً في آلاف أو ملايين ما يسمى الفيس بوك والتويتز والتغريدات والمواقع الخاصة وهو ما يجرى ليل نهار في كل العالم العربي الآن دون لقاء جسدي بين أفرادها إذ يقتصر التواصل بالكلمات المكتوبة، وبعض الصور ونادراً بالتخاطب الصوتي، أو المرئي/صوتي.

إلا أنني سوف أقصر رؤيتي للعمليات الجماعية، قياساً على العلاج الجمعي، على المثال الذي نعيشه معا "هنا والآن" يوماً بيوم في جماعة تنمو باستمرار، تحت قيادة قائد ماهر، هو منشؤها وراعيها اسمه "جمال التركي"، قائد كان - وما زال - له هدف ظاهر واضح، لكنه أيضاً وقبل له هدف أعمق وأرسخ وأبقى قد لا يكون في بؤرة وعيه بالقدر الكافي حتى الآن، لكن الله يعلمه (وكذلك الراسخون في العلم).

وغداً نقدم مزيداً من التفاصيل عن "العمليات الجماعية" التي تعلمناها من خبرة "شعن" موازية للعلاج الجمعي.

غداً: تطبيقات من خبرة "شعن"

فالبشرى بدرجات تراكمية جدلية تصعيدية، ومع تزايد الوعي بالوعي، وتوفر السبل الأحدث والمعلومات الأكثر غزارة في البيولوجيا العصبية والعلم المعرفي العصبي والعلوم النفسية عامة والعلوم الكمومية الأحدث، وغيرها، يحاول الإنسان عبر سبل متعددة، متكاملة ومتوازنة ومتجاذلة أن يسهم بدرجة ما في تخليق "الوعي الجمعي" لما يتصور أنه أكثر إيجابية، بمعنى أنه أكثر تحقيقاً لما خلقنا به و لما خلقنا إليه، وكذلك أكثر تلاؤماً ثم دفعا لمسيرة التطور.

لكنه أيضاً وقبل له هدف أعمق وأرسخ وأبقى قد لا يكون في بؤرة وعيه بالقدر الكافي حتى الآن، لكن الله يعلمه (وكذلك الراسخون في العلم).

الجمعية المصرية للعلاج الجماعي والعمليات العلاجية

المؤتمر الدولي الأول: العلاج النفسي الجماعي والعمليات الجماعية

الأمل في الأوقات العصيبة

www.arabpsynet.com/Congress/CongJ37FirstInterConfEAGT.pdf

Brochure

www.arabpsynet.com/Congress/CongJ37FirstInterConfEAGT.Br.pdf

القاهرة - مصر

ورش عمل قبل المؤتمر: 24 ستمبر 2013

فندق موفينيك : 25-27 ستمبر 2013

info@eagt.net